المبحث الخامس

العجفاء بنت علقمة ولغة الوصف

تحت عنوان: «كل فتاة بأبيها معجبة»: «يضرب في عُجْب الرجل برهطه وعشيرته، وأول من قال ذلك العجفاء بنت علقمة السَّعدي، وذلك أنَّها وثلاث نسوة من قومها خَرَجْن فاتَّعدْن بروضة يتحدَّثن فيها، فوافَيْن ليلاً في قمر زاهر، وليلة طَلْقَة ساكنة، وروضة مُعشبة خَصبة، فلما جلسن قلن: ما رأينا كالليلةِ ليلة، ولا كهذه الرَّوضة روضة أطيب ريحًا ولا أنضر. ثم أفضن في الحديث، فقلن: أي النِّساء أفضل؟

قالت إحداهن: الخَرُود الوَدُود الوَلُود.

قالت الأخرىٰ: خيرهن ذات الغَناَء، وطيب الثَّناء وشدَّة الحياء.

قالت الثالثة: خيرهن السَّموع الجَمُوع، النَّفوع غير المنوع.

قالت الرابعة: خيرهن الجامعة لأهلها، الوادعة الرافعة، لا الواضعة. قلن: فأيُّ الرجال أفضل؟

قالت إحداهن: خيرهم الحَظِيُّ الرَّضِيُّ، غير الحظال ولا التَّبال.

قالت الثانية: خيرهم السيد الكريم، ذو الحسب العميم، والمجد القديم.

قالت الثالثة: خيرهم السَّخي الوفي، الذي لا يغيِّر الحُرَّة، ولا يتخذ الضرَّة.

قالت الرابعة: وأبيكن، إن في أبيكن لنَعْتَكُنَّ، كرم الأخلاق، والصدق عند التَّلاق، والفلج عند السِّباق، ويحمده أهل الرِّفاق. قالت العجفاء عند ذلك: كل فتاة بأبيها معجبة. وفي بعض الرِّوايات أنَّ إحداهن قالت: إنَّ أبي يكرم الجار، ويُعظِم النَّار، وينحر العِشار بعد الحُوار، ويحمل الأمور الكبار.

فقالت الثانية: إن أبي عظيم الخَطَر، منيع الوَزر، عزيز النَّفر، يحمد منه االورد والصَّدَر.

فقالت الثالثة: إن أبي صدوق اللسان، كثير الأعوان، يُروِي السِّنان عند الطِّعان.

قالت الرابعة: إن أبي كريم النِّزال، مُنيف المقال، كثير النَّوال، قليل السُّؤال، كريم الفعال. ثم تنافرن إلىٰ كاهنة معهن في الحيِّ، فقلن لها: اسمعي ما قلنا، واحكمي بيننا واعدلي، ثم أعدن عليها قولهن، فقالت لهن: كل واحدة منكن ماردة، علىٰ الإحسان جاهدة، لصواحبتها حاسدة، ولكن اسمعن قولي: خير النساء المبقية علىٰ بعلها، الصابرة علىٰ الضَّراء مخافة أن ترجع إلىٰ أهلها مطلقة، فهي تؤثرُ حظَّ زوجها علىٰ حظِّ نفسها؛ فتلك الكريمة الكاملة؛ وخير الرِّجال الجواد البَطَل، القليل الفَشِل، إذا سأله الرجل ألفاه قليل العلل، كثير النَّفل، ثم قالت: كل واحدة منكنَّ بأبيها معجبة»[1].

حوار نسائي يسجِّله التَّاريخ بحروف ترتقي بالمنطوق والمفهوم غايته النَّهضة والرُّقي بمكارم الأخلاق، يشهده القمر الزاهر في أحد لياليه البيضاء الهادئة السَّاكنة، والجنَّة الأرضية العربيَّة البديعة التي يكثر فيها الخير والنَّماء، تسجِّل كلُّ واحدة منهن رأيها بكل صراحة ووضوح فيما يوجَّه إليها من أسئلة قد يكون الجواب واقعًا حيًّا وبثًّا مباشرًا، وهذا هو الأقرب للقبول للعنوان بأعلىٰ الصَّفحة في عُجْب الرجل برهطه وعشيرته، وقد تكون أمنية، حيث تتمنَّي كل واحدة منهن أن تحتضن هذه الصُّورة عالمها الخاص إن لم تكن بالفعل من سُكَّانها، فلم تكن الحياة عندهن معقدة بهذا التَّعقيد الذي نراه في عالمنا المعاصر ولكنَّها كانت حياة يسيرة سهلة تدع الفرصة للعقل أن يفكِّر ويبدع ويتخيَّل وللسان أن ينظم الحروف في داخل الكلمات والعبارات دون ضغوط أومؤثِّرات وكأنَّها تتكلَّم بكل اللغات، وكأنَّ كل مَنْ يسمع بها أو يراها يحسُّ بها ويتأثَّر بها، فللمتكلم رؤيته الخاصَّة ولطبيعة الحوار رؤيته كذلك، وللمستمع في ذلك نظر، والباحث يرىٰ أن يقسِّم هذا الحوار في روايتيه

(1) مجمع الأمثال 2/ 134. وينظر: جمهرة خطب العرب ص114.

إلىٰ أربع صور، مستعينًا في سبيل توضيح ذلك بالمعاجم العربية، ثم رؤيته الخاصَّة في ربط الألفاظ ببعضها والخروج بها إلىٰ رسم الصُّورة العامَّة.

ولكن قبل توضيح هذه المجموعات هناك تمهيد يوضح لغة أدب الكواهن وطبيعة البحث فيه، حيث «كانت الكاهنات في أدبهن يملن إلىٰ استخدام السَّجع، والتكلُّف في صوغ المعاني البعيدة، واستقصاء الأفكار الدَّقيقة التي تحتاج إلىٰ كدِّ خاطر أودرس علم، ونظرًا لأنَّ أدب الكهانة من الأدب الخاصِّ، فكأنَّ التأنُّق مقصودًا في انتقاء الألفاظ المناسبة للوزن، المتشابة في النَّغَم والجَرْس، وإن كن في بعض الأحيان يعمدن في تأدية المعنىٰ إلىٰ ألفاظ تطابقه، حسبما يتفق، وكما يكون، مع قِصر في الجمل، أو توسط فيها، كما نلاحظ أنَّهنَّ يستخدمن الكناية القريبة المنال كطابع النثر الأدبي في هذه الحقبة»[1]. وقد سيطر الأسلوب الخبري علىٰ سرد هذا الحوار؛ لأنَّه مقام عرض ووصف، ولم يأت الأسلوب الإنشائي غير الطلبي إلا نادرًا مثل التَّعجب في قولهن: ما رأينا كالليلة ليلة، ولا كهذه الرَّوضة روضة أطيب ريحًا ولا أنضر، ثم الإنشاء الطلبي في صورة الاستفهام في قولهن: أي النِّساء أفضل؟ وأي الرِّجال أفضل؟. مع حسن البدء بهذا الاستفهام والختام بالخبر: كل فتاة بأبيها معجبة، ليحدث الرَّبط بين السُّؤال والجواب.

الصورة الأولىٰ: ألفاظ نعت أفضل النِّساء

أربع نساء في هذه المجموعة ترسم كل واحدة منهن اللوحة الخاصَّة بها في اختيار أفضل النِّساء عن طريق استعمال بعض الألفاظ التي تسكن إمَّا في دائرة السِّمات الفطرية أو المكتسبة، وكلها سمات معنوية لا ترىٰ للشاهد الحسِّي في ذلك سبيلاً، فهي عندما تلتزم الصَّمت فهي بديعة الحسن والمنظر، وعندما تتكلَّم فهي تنثر حبات من لؤلؤ، لا تكاد تراها إلا حيث تريد أن تراها، فهي تنتمي إلىٰ واحد من العوالم الأربعة:

(1) أدب النساء في الجاهلية والإسلام ص56.

العالم الأول: الخَرُود الوَدُود الوَلُود، فالخَرُود من النِّساء: التي لم تُمْسَسْ قط، وقيل: هي الحييَّة الطويلة السُّكوت الخافضة الصَّوت المُتَسَتِّرَة، والوَدُود من الوُدِّ: وهو الحبُّ يكون في جميع مداخل الخير؛ عن أبي زيد، والوَلُود تعرِّف نفسها بنفسها.

العالم الثاني: ذات الغَنَاء، وطيب الثَّنَاء وشدَّة الحياء، والغَنَاء -بالفتح-: النَّفْع.

العالم الثالث: السَّموع الجموع، النَّفوع غير المنوع.

العالم الرابع: الجامعة لأهلها، الوادعة الرافعة، لا الواضعة، والوادعة: السَّاكنة الهادئة[1].

انبثق كلام هؤلاء النساء من طبيعة المكان الذي جلسن عنده، حيث اجتمعن عند روضة مُعْشِبة خصبة، وكأنَّهنَّ بهذه الكلمات يعرضن علىٰ الرِّجال روضات أربع، كل روضة أجمل من أختها، فالرَّوضة الأولىٰ تنتمي إلىٰ عالم الحياء والحبِّ والبنين والبنات، والثانية إلىٰ جميل القول والفعل وشدَّة الحياء، والثالثة إلىٰ السَّمع والطَّاعة والنَّفع والعطاء، والرابعة التي تؤلِّف بين قلوب أهلها مع هدوء طبعها وسمتها، ترفع من قدرها وقدر زوجها، ربما يجنح بعض الرِّجال في الاختيار إلىٰ روضة بعينها ويسكن ويميل إليها ولكني لا أكون مبالغًا إن بحثت عن كل ذلك في امرأة بعينها، فالصُّورة قد تكذب أحيانًا وللحوار أن يتجمَّل في أحيان أخرىٰ ولكن النَّماذج الخاصَّة تراها في كل زمان ومكان تعبِّر عن نفسها وتشير إلىٰ وجودها.

الصورة الثانية: ألفاظ نعت أفضل الرجال

لك الحقُّ أن تتكلَّم في عالم الرِّجال عن الرِّجال دون تسجيل أو تحليل، ولكن عالم النِّساء عندما يتحدثن عن عالم الرِّجال فينبغي أن تنصت وتتعلَّم وتسجِّل

(1) ينظر: لسان العرب (خ ر د) 2/ 1128، (و د د) 6/ 4793، (غ ن ي) 5/ 3309، (و د ع) 6/ 4795.

جميع ما تسمع أو تقرأ، فإن كنت من سكان هذا الحوار فلك أن تفخر وتتكلَّم، وإن كنت بمنأىٰ عنه فأعد النَّظر وتذكَّر أنَّ الخير إن غاب عنك كثيرًا فلا يزال الوقت موصولاً حتىٰ تمسك بزمامه وتعلن أنَّك من أربابه.

وأفضل الرِّجال تراه من خلال هذا الحوار يسكن في هذه الدوائر الأربع:

الدَّائرة الأولىٰ: الحظي الرَّضِيُّ، غير الحظَّال ولا التَّبال. وزاد في رواية الجمهرة: البطيّ، فرجل حَظِي: إذا كان ذا حُظْوة ومنزلة، الرَّضِي وهو: المطيع، والحَظْل: المنع من التَّصرف والحركة، والحَظَل: غيَّرة الرَّجل علىٰ المرأة ومنعه إيَّاها من التَّصرف. والحَظِل: المُقَتِّر، ورجل حظُول: مُضَيِّق علىٰ أهله. الجوهرىٰ: رجل حظِل وحظَّال للمُقَتِّر الذي يحاسب أهله بما يُنْفِق عليهم. والتَّبْل: العداوة، والحِقْد، وأن يُسْقِم الهوىٰ الإنسان، والبُطءُ: نقيض الإسراع.

الدَّائرة الثانية: السيد الكريم، ذو الحسب العميم، والمجد القديم، والكريم: الجامع لأنواع الخير والشَّرف والفضائل. والكريم: اسم جامع لكل ما يحمد، والحسب: الشَّرف الثَّابت في الآباء، أو ما يعده الإنسان من مفاخر آبائه، والعميم: كل ما اجتمع وكَثُر، والمجد: المروءة والسَّخاء، وقيل: نيل الشَّرف، وقيل: لا يكون إلا بالآباء.

الدَّائرة الثالثة: السَّخي، الوفي، وزاد في الجمهرة: الرَّضي، الذي لا يغيِّر الحرَّة، ولا يتخذ الضرَّة، والسَّخاء: الجود، والوفي: الذي يعطي الحقَّ ويأخذ الحقَّ، والضَّرتان: امرأتان للرَّجل، سُمِّيتا ضَرَّتين لأنَّ كل واحدة منهما تُضار صاحبتها، وكَرِه في الإسلام أن يقال لها ضَرَّة، وقيل: جارَة.

الدَّائرة الرابعة: كرم الأخلاق، والصِّدق عند التَّلاق، والفَلَج عند السِّباق، ويحمده أهل الوفاق، والفَلْج: الظَّفر والفوز، وقد فَلِجَ الرَّجل علىٰ خَصْمه يَفْلَج فَلْجًا، والسَّبْق: القُدْمَة في الحرب وفي كل شيء، وعن الحمد قال الأزهري: والحمد قد يكون شكرًا للصَّنيعة ويكون ابتداء للثَّناء علىٰ الرَّجل، ورافق الرجل: صاحبه، ورفيقك: الذي يصاحبك، وقيل: هو الصَّاحب

في السَّفر خاصَّة[1]. ثم تختم العجفاء هذه الدَّوائر بهذه الكلمات المشهورات بأنَّ كل فتاة بأبيها معجبة.

فلك الحقُّ في الاختيار بما تحبُّ وتهوىٰ من سمات وخصال، ولها الحقُّ أيضًا في ذلك، فهذا بيت تحتضنه مجموعة من الصُّور والأشكال، كل صورة أجمل من الأخرىٰ تنظر يمينًا فترىٰ صاحب المكانة والمنزلة الذي يرضىٰ عن أهله ولا يسخط عليهم، أمارات الكرم تبدو واقعًا حيًّا في حياته، يسارع دائمًا إلىٰ مرضاة أهله، لاتجد للعداوة والحقد والهوىٰ في قلبه سبيلاً، ثم تنظر يسارًا فترىٰ الكرم أيضًا مع عظيم شرف الآباء كلما انتقلت من جيل إلىٰ جيل، ثم تنظر في الأمام فترىٰ الكرم ثالثًا وكأنَّه مقدمة كل خير، ثم الوفاء مجسَّدًا في حركاته وسكناته، في صحوه ومنامه، والرِّضا في حالتي السُّكون والغضب، تأمنه زوجه ولا تخاف من أن يأتي لها بأخرىٰ، ثم تنظر في الخلف فترىٰ مجمل هذه الأشكال بصورة أخرىٰ، تبدأ بالأخلاق التي تجسِّد العفَّة والمروءة، تلمح علىٰ وجهه أمارات الصِّدق عند اللقاء، دومًا فائزًا في مجال السِّباق، يحمده الأصحاب خاصَّة في السَّفر الذي تظهر فيه معادن الرجال.

الصورة الثالثة: ألفاظ نعت أفضل الآباء

يخرج الحوار من دائرة أفضل الرِّجال عامَّة إلىٰ دائرة أفضل الأباء خاصَّة بصورة أسلوبية سهلة لا تعقيد فيها ولا غموض، فترىٰ أربع نسوة كل واحدة منهن تعبِّر عن نفسها دون أن تلتمس الأعذار، أو تكتفي بالصَّمت والاستماع، ولكن لكل منهنَّ رأي ورؤية بل وشخصية، قد يجتمعن في بعض الصِّفات وقد يختلفن، ولكنه

(1) لسان العرب (ح ظ ي) 2/ 920، (ر ض ي) 3/ 1664، (ح ظ ل) 2/ 920، الصحاح 4/ 1670، لسان العرب (ت ب ل) 1/ 419، (ب ط أ) 1/ 298، (ك ر م) 5/ 3861، (ح س ب) 2/ 864، (ع م م) 4/ 3112، (م ج د) 6/ 4138، (س خ ي) 3/ 196، (و ف ي) 6/ 4884، (ض ر ر) 4/ 2575، (ف ل ج) 5/ 3457، (س ب ق) 3/ 1928، والصحاح (ح م د) 2/ 252، لسان العرب (د) 2/ 987، (ر ف ق) 3/ 1695.

اختلاف محمود غايته الخروج من هذا الحوار بأفضل سمات الآباء، والصُّور الأربع الآتية ترسم أبعاد ذلك: الصُّورة الأولىٰ: يكرم الجار، ويُعْظِم النَّار، وفي رواية الجمهرة: الخِطار، وينحر العِشار بعد الحوار، ويحمل الأمور الكبار، وزاد في الجمهرة: ويأنف من الصِّغار، والخطار من الخَطَر: وهو السَّبَق الذي يُتَرامىٰ عليه في التَّراهن، والجمع أخطار، والعشار: يقال: ناقة عُشَراء: مضىٰ لحملها عشرة أشهر، وقيل ثمانية، والأول أولىٰ لمكان لفظه، فإذا وضعت لتمام سنة فهي عُشَراء أيضًا علىٰ ذلك، والحُوار: ولد النَّاقة من حين يُوضع إلىٰ أن يُعْظَم ويُفْصَل، فإذا فُصِل عن أمِّه فهو فصيل، وقيل: هو حُوار ساعة تضعه أمُّه خاصَّة. وفي التَّهذيب: الحُوار الفصيل أول ما يُنْتَجُ، وأَنِف الطعام وغيره أَنَفًا: كَرِهَه. الصُّورة الثانية: عظيم الخطر، منيع الوَزَر، عظيم النَّفر، يحمدُ منه الوِرد والصَّدَر، والخطر: ارتفاع القدر والحال والشَّرف والمنزلة، والوَزَر: الملجأ، وأصل الوَزَر: الجبل المنيع، وكل مَعْقِل وَزَر.

قال أبو إسحاق: الوَزَر في كلام العرب الجبل الذي يُلْتَجأ إليه، هذا أصله. وكل ما التجأت إليه وتحصَّنت به فهو وزر. والنَّفَر: القوم ينفرون معك ويتنافرون في القتال، والوِرْد: ورود القوم الماء، والصَّدَر: نقيض الورد. الصُّورة الثالثة: صدوق اللسان، وزاد في الجمهرة: حديد الجنان، رذوم الجفان، والحديد: هذا الجوهر المعروف لأنَّه منيع، والجَنَان -بالفتح-: القلب لاستتاره في الصَّدر، وقيل: لوعيه الأشياء وجمعه لها، والرَّذُوم: السَّائل من كل شيء، وقَصْعَة رَذَوم: ملأىٰ تصبَّب جوانبها حتىٰ إن جوانبها لتَنْدَىٰ، أو كأنَّها تسيل دسمًا لامتلائها، والجَفْنَة: معروفة، أعظم ما يكون من القِصاع، والجمع جِفان، كثير الأعوان، يروي السِّنان عند الطِّعان والعون: الظَّهير علىٰ الأمر، والسِّنان للرُّمح. الصُّورة الرابعة: كريم النِّزَال، مُنِيف المقال، كثير النَّوال، قليل السؤال، كريم الفعال، والنِّزَال في الحرب: أن يتنازل الفريقان. وفي المحكم: أن يتنازل الفريقان عن إبلهما إلىٰ خيلهما فيتضاربوا وقد تنازلوا،

ومُنيف: أي عال مُشْرِف. ويقال لكل مُشْرِف علىٰ غيره: إنَّه لمُنيف، والقول: الكلام علىٰ التَّرتيب، والنَّوال: العطاء[1].

فهذه السِّمات لم تأت نتيجة لخيال صوَّره طبيعة المكان، أوأوهام تجاوزت حد المعقول والمفهوم وإنَّما جاءت نتيجة لفكر ثاقب ورأي راجح عاش الحياة بكل تفاصيلها واستطاع أن يميِّز بين الطَّيب والخبيث فيها، فآمن بأنَّ الخواصَّ من النَّاس في كل زمان ومكان هم رمز الخلود الذين تظلُّ ذكراهم باقية وإن غابت ملامحهم ووراىٰ الثرىٰ أجسادهم.

الصورة الرابعة: ألفاظ نعت أفضل النِّساء والرِّجال

مع لغة التَّعقيب والتحليل والإيجاز وبعد انتهاء لغة الحوار بين النِّساء الأربع أرادت كل واحدة منهن أن تعرف إن كانت في رأيها مصيبة أم لا، فسألن الكاهنة السَّعدية لتعرف منها الجواب، ولكن الجواب يسبقه تمهيد تذكر فيه أنَّ كل واحدة منكن ماردة. وزاد في الجمهرة: بأبيها واجدة، علىٰ الإحسان جاهدة، لصواحبتها حاسدة، وتأويل المُرُود: أن يبلغ الغاية التي تخرج من جملة ما عليه ذلك الصنف. ووَجَد به وَجْدًا: في الحبِّ لا غير، وإنه ليجِد بفلانة وَجْدًا شديدًا: إذا كان يهواها ويحبها حبًّا شديدًا، والجَهْد والجُهْد: الطَّاقة، وقيل: الجَهْد المشقَّة والجُهْد الطاقَّة، والحسد: الجوهري: أن تتمنَّىٰ زوال نعمة المحسود إليك[2]، فكل واحدة منهن متيَّمة بأبيها لاترىٰ في الرِّجال غيره، وفي الوقت نفسه تتمنَّىٰ من الصِّفات الأخرىٰ أن تنتقل إليه بعد زوالها من آباء صواحبتها حتىٰ يكون هو الوحيد الجامع لجميع المحاسن.

---

(1) لسان العرب (خ ط ر) 2/ 1196، (ع ش ر) 4/ 2954، (ح و ر) 2/ 1044، (أ ن ف) 1/ 152، (خ ط ر) 2/ 1196، (و ز ر) 6/ 4823، (ن ف ر) 6/ 4468، (و ر د) 6/ 4810، (ص د ر) 4/ 2413، (ح د د) 2/ 800، (ج ن ن) 1/ 702، (ر ز م) 3/ 1633، (ج ف ن) 1/ 644، (ع و ن) 4/ 3179، (س ن ن) 3/ 2121، (ن ز ل) 6/ 4399، (ن و ف) 6/ 4579، (ق و ل) 5/ 3777، (ن و ل) 6/ 4582.

(2) السابق (م ر د) 6/ 4172، (و ج د) 6/ 4770، (ج هـ د) 1/ 708، (ح س د) 2/ 868.

ثم أعلنت بعد ذلك كلمتها الأخيرة في هذا الحوار بكلمات تبدو كالأزهار الغناء والمرأة الحسناء، فرسمت الصُّورة بكل اقتدار، ناظرة إلىٰ جميع الأبعاد، فأجملت الكلام بعد تفصيل، وأوجزت بعد إطناب جميل، وذلك في جزأين:

الجزء الأول: خاصٌّ بالنِّساء

إذا أردت وصف المرأة الكريمة الكاملة فعليك أن تنظر بعين الرِّضا إلىٰ تلك الصِّفات الثلاث حتىٰ ترىٰ أنها ما أبقت بعد ذلك شيئًا، فهي المبقية علىٰ بَعْلها، والبَعَل: الزَّوج. وإنَّما سُمِّي زوج المرأة بعلاً لأنَّه سيدها ومالكها، وليس من الاستعلاج في شيء، فهي تحافظ علىٰ بيتها إذًا مخافة أن تسكن فيه غيرها، الصَّابرة علىٰ الضَّراء مخافة أن ترجع إلىٰ أهلها مطلقة، فهي تعلم أنَّ البيوت تارة يسكن أصحابها في السَّماء فيسعدون بالحياة، وتارة تراهم في الأرض حيارىٰ لا دليل لهم فترضىٰ بمعيشتها وإن كان فيها ما فيها، فهي تؤثر حظَّ زوجها علىٰ حظِّ نفسها، والحظُّ: النصيب؛ زاد الأزهري: عن الليث: من الفضل والخير. وفلان ذو حظ وقِسْم من الفضل[1]. فهذه المرأة تنكر وجودها في وجود زوجها فتؤثره بالخير وتقدِّمه في مواضع البرِّ والإحسان وإن كان ذلك علىٰ حساب نفسها.

الجزء الثاني: خاصٌّ بالرِّجال

ترىٰ في جميع أوصاف النِّساء الحفاظ علىٰ الرَّجل في المرتبة الأولىٰ لتحقيق السَّعادة الزوجية ولكن مع وصف خير الرِّجال ترىٰ الأمر يختلف أحيانًا، فهي أوصاف عامَّة قد تراها داخل البيت أو خارجه، فهو الجواد البَطَل، والبَطَل: الشُّجاع، كرم ونبل مع جرأة وإقدام، يعبِّر عن نفسه في جميع المواقع، في مقدمة الصفوف دائمًا، القليل الفَشِل، والفَشِل: الرجل الضَّعيف الجبان، وكأنَّها تعيد تكرار ما سبق من صفة الشَّجاعة تأكيدًا عليها وحرصًا علىٰ تحقيق مفهومها ومضمونها حتىٰ تأمن المرأة علىٰ نفسها، إذا سأله الرجل ألفاه

(1) السابق (ب ع ل) 1/ 316، (ح ظ ظ) 2/ 919، وتهذيب اللغة 2/ 273.

قليل العِلَل، وألفىٰ الشيء: وجده، والعِلَّة: الحدث يشغل صاحبه عن حاجته، كأنَّ تلك العِلَّة صارت شغلاً ثانيًا منعه عن شغله الأول، فهو لا يشغل بأمر عن أمر ولا حاجة عن أخرىٰ، فالأمور كلها عنده جسام، الصَّغيرة قبل الكبيرة، فلا يقدِّم الأعذار حتىٰ يقي نفسه مرارة السُّؤال، كثير النَّفَل، والنَّفَل، بالتَّحريك: الغنيمة والهبة[1].

فتلحظ تكرار الشَّجاعة في البداية والختام، يخوض المعارك فتقدَّم له الغنائم والهبات، ربَّما يحدث ذلك عندما سماع اسمه قبل دقِّ الطُّبول وإعلان مراسم بدء الحروب وتقديم التَّضحية بالنَّفس والمال، وهذه وجهة نظر وعلىٰ ذلك كان الختام: كل واحدة منكنَّ بأبيها معجبة.

فهذه سطور قيلت في اجتماع مغلق في الهواء الطَّلق علىٰ سبيل التَّسلية وملأ الفراغ بعمل مفيد، ولكنَّها بعد ذلك تخطَّت حدود الزَّمان والمكان وأصبحت شاهدًا ودليلاً علىٰ إبداع المرأة اللغوي في تصنيف وتوصيف لغة الحوار، وحسن التَّفكير وجمال الاختيار، وعندما تقارن فالمقارنة في ضوء الأسباب والمعايير التي تعتمد علىٰ الواقع دون الخيال حتىٰ تصل إلىٰ تحقيق الهدف والأمل المنشود.

(1) السابق (ب ط ل) 1/ 302، (ف ش ل) 5/ 3418، (ل ف ي) 5/ 4056، (ع ل ل) 4/ 3080، (ن ف ل) 6/ 4509.